رسالة القول الأشبه
في حديث:
(من عرف نفسه فقد عرف ربه)

للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)

دراسة وتحقيق الدكتور
عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي

جامعة الإمارات

المقدمة

الحمد لله ولي كل الخير وفضل ونعمة وسداد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدة ورسوله، الناطق بالحق والحكمة، والهادي إلى سبيل الرشاد، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الأمجاد، وعلى التابعين لهم بإحسان من العلماء والصلحاء والعُبّاد.

أما بعد: فإن التراث سفر الامة، وسجلها الخالد الذي يحوي مآثرها ومفاخرها، وجسر اتصالها بين ماضيها وحاضرها، فالأمة التي لا تعتز بتراثها، ولا توليه اهتمامها الذي يستحق فإن ذلك يعني ضياعها وانقطاعها عن أهم مصدر لحياتها العزيزة وأعظم منبع لوجودها.

وقد ترك المسلمون الذين عاشوا خلال القرون العشرة الأولى من ظهور الإسلام تراثاً فكرياً ضخماً لا نجده عند أية أمة من الأمم، وفي أي لغة من لغات البشر ويتمثل هذا التراث اكثر ما يتمثل في الآلاف من الكتب والرسائل التي ألفها أولئك المبدعون والنوابغ من رجال الفكر في شتى صنوف العلم والمعرفة الإنسانية، وهي تشكل في مجموعها حصيلة النشاط العلمي للأمة الإسلامية خلال تلك الفترة.

ولكن الملفت للنظر أن أغلب هذه المؤلفات لم تر النور إلى يومنا هذا وظلت أسيرة الخزانات.

وإيماناً مني بضرورة إخراج هذه المخطوطات إلى النور وجعلها في متناول الباحثين، شرعت في هذا العمل المتواضع، واخترت رسالة للإمام السيوطي بعنوان "القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه" فحققتها وعلقت عليها، وبذلت في ذلك كل جهدي، فإن أكن وفقت للصواب، فهذا هو المأمول، وإن يكن غير ذلك. فالكمال لا يليق إلا بالله ﷻ.

وقد قسمت هذا البحث على قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي واشتمل على:

أولاً:. حياة المؤلف.

ثانياً:.رسالته التي بين أيدينا.

القسم الثاني: القسم التحقيقي

وفي الختام أقول كما قال القاضي عبد الرحيم البيساني: (إني رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُسْتَحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَرُ على استحواذ النقص على جملة البشر!)

هذه الكلمات التي قالها البيساني كلمات مضيئة، فالكمال لله وحده فهو المنزه عن الخطأ والتقصير، نسأله ﷻ أن يلهمنا الرشاد، وأن يهب لنا التوفيق فيما نعمل، والإخلاص فيما نقول، وأن يثقّل بعملنا هذا موازيننا يوم نلقاه،

وصلى الله على سيدنا محمد الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قسم الدراسة

أولاً: حياة المؤلف الإمام السيوطي نسبه وولادته

هو جلال الدين [1] أبو الفضل عبد الرحمن بنا أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أيوب بن ناصر الدين محمد بن همام الطولوني [2] الخضيري [3] الأسيوطي [4] الشافعي الأشعري [5].

---

(١) وقد لقبه بذلك والده. التحدث بنعمة الله: ٢٣٥.

(٢) نسبته بالطولوني اما لكونه كان يسكن الى جوار جامع ابن طولون بالقاهرة، واما لانه كان مدرساً ومملياً للحديث بالجامع المذكور. التحدث بنعمة الله ٨٨-٨٩، الطبقات الصغرى ٣١، الضوء اللامع: ٤/٦٥.

(٣) نسبة إلى محلة ببغداد كانت في الجانب الشرقي منها. ولعل أحد أجداد السيوطي كان منها، كما ذكر ذلك في كتابه: حسن المحاضرة: ١/٣٣٦.

(٤) نسبة إلى مدينة (أسيوط) الواقعة غربي نهر النيل، وهي أكبر مدن صعيد مصر، وعاصمته قديماً وحديثاً وبها ولد الكمال أبو الجلال فنسب السيوطي اليها، وهي الآن محافظة كبيرة. معجم البلدان ١/١٩٣، التحدث بنعمة الله: ١٥-١٦، دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٠١.

(٥) انظر حسن المحاضرة، ١/٣٣٥، التحدث بنعمة الله ٥ وانظر ترجمته في الكواكب السائرة للغزي ١/٢٢٦، الضوء اللامع للسخاوي: ٥/١١، ٩/٢، ٤ /٦٥، شذرات الذهب لابن العماد ٣/١٦٨، ٨/٥١، البدر الطالع للشوكاني ١/٣٢٩، الوافي بالوفيات للصفدي ١٧/٢٢٦، الاعلام للزركلي ٣/٣٠١، فهرس الفهارس للكتاني ١/٣٥١، هدية العارفين للبغدادي ١/٥٣٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٧.

أما عن ولادته: فقد أجمعت مصادر ترجمته على انه -رحمه الله- قد ولد بعد المغرب من ليلة الأحد مستهل شهر رجب سنة ٨٤٩هـ الموافق ١٤٤٥/١٠/٣م[١].

وأما مكان ولادته: فلا خلاف بين المتقدمين على أن السيوطي ولد بالقاهرة وذلك تبعاً لما ذكره هو عن نفسه [٢]، ولكن قسماً من المتأخرين أخطأ فذكر مكان مولده بأسيوط [٣].

نشأته:

نشأ الإمام السيوطي منذ صباه يتيماً، فقد توفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وكان الكمال بن الهمام الحنفي صاحب كتاب "فتح القدير" أحد الأوصياء عليه[٤].

---

(١) التحدث بنعمة الله، ٣٢، حسن المحاضرة ١/٣٣٦، دائرة المعارف الاسلامية ١٢/٢٧، الاعلام ٣/٣٠١.

(٢) التحدث بنعمة الله ١٢.

(٣) انظر على سبيل المثال: اخبار العالم الاسلامي العدد ١١٦٢ ص١٠٢. وخطأ هؤلاء الكتاب راجع على اعتمدهم على دائرة المعارف الاسلامية التي وقعت في خلط غير متعمدة حيث ذكرت عند مادة اسيوط انها مسقط راس جلال الدين السيوطي، ثم عندما ترجمت للسيوطي نفسه في مادة (سيوط) قررت ان مولده كان بالقاهرة. انظر دائرة المعارف الاسلامية، ٢/٢٠٣، وقارن بـ ١٢/٢٧ وقد وقعت في الخلط نفسه الموسوعة العربية الميسرة ١٤٦ و ١٠٩٥ والمنجد في الاعلام ٤٧ و ٣٨٧، ورضا كحالة في كتابيه: معجم المؤلفين ٥/١٢٨، ومعجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ ٢٥٢ والاعلام: ٣/٣٠١، والموسوعة الفقهية الصادرة في الكويت ١/٣٥٣، وفي كلامهم ايهام ظاهر.

(٤) بغية الوعاه ١/ ١٦٧، الضوء اللامع ٤/٦٥.

يقول السيوطي عن ذلك: (نشأت يتيماً فحفظت القرآن ولي دون الثمان، وشرعت في الاشتغال بالعلم في مستهل سنة أربع وستين، وقد ألفت في هذه السنة فكان أول شيء ألفته (شرح الاستعاذة والبسملة) [1].

ومن الطبيعي أن ينشأ الإمام السيوطي على حب العلم وتعلمه منذ نعومة أظافره، لأنه عاش في بيت علم ووجاهة، وكان أبوه من فقهاء الشافعية -كما يذكر المؤرخون- واتجه السيوطي بعد حفظه للقرآن إلى حفظ متون العلم الأساسية مثل (عمدة الأحكام عن سيد الأنام لعبد الغني المقدسي، ومنهاج الطالبين في فروع الشافعية للنووي، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، وألفية ابن مالك في النحو).

وكانت بداية اشتغاله بالعلم (سنة ٨٦٤ هـ) وله خمس عشرة سنة، فلازم علماء كثيرين فأخذ عنهم وأفاد منهم، واستطاع بعد عناء مضنٍ واعتكاف على الدرس والتحصيل في طلب العلم أن يتبحر في سبعة علوم هي: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، على طريقة العرب البلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة [2] وقد ذكر السيوطي أن ما وصل إليه من هذه العلوم سوى الفقه والنقول التي أطلع عليها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخه [3].

وتتجلى أمامنا موهبة السيوطي وثقافته الواسعة الكبيرة، وتمكنه من معارف شتى من خلال مؤلفاته التي نيفت على السبعمائة مؤلف.

---

(١) شذرات الذهب ٨/٥١.

(٢) انظر السيوطي: حسن المحاضرة ١/٣٣٩.

(٣) انظر المصدر السابق ١/٣٩٩، التحدث بنعمة الله ٣٠٣ - ٣٠٤.

وقد عرف للإمام السيوطي رحلات عديدة إلى أماكن مختلفة من العالم الإسلامي لطلب العلم وتحصيله، فرحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وغيرها من البلاد.

شيوخه:

درس الإمام السيوطي على يد كثير من فضلاء عصره وأئمة زمانه، فاستفاد منهم كثيراً وتلقى عنهم علماً غزيراً، وقد ألف السيوطي معجماً كبيراً ذكر فيه أسماء شيوخه وسماه (حاطب لليل وجارف سيل)، ومعجماً صغيراً آخر سماه (المنتقى). وفيما يأتي مختصر عن أهم شيوخه مرتباً ذكرهم على حسب وفاتهم:

١- الشارمساحي:

هو أحمد بن علي بن أبي بكر الشهاب بن النور زين الدين الشارمساحي الشافعي [١].

كان إماماً في الفرائض والحساب، وقد أدركه الإمام السيوطي في أواخر عمره وقد جاوز المائة، وقرأ عليه الفرائض، ثم ابتلى بآفة العمى فانقطع عن التدريس، وكان لا يستطيع الحركة، ويذكر انه قد بلغ من العمر مائة ونيف وعشرين سنة. توفي في رجب (سنة ٨٥٥هـ) [٢]

(١) نسبة لشارمساح قرية قرب دمياط بمصر، لب الالباب ١٤٨.

(٢) الضوء اللامع ١/١٦٩ – ١٧٠.

٢- علم الدين البلقيني:

هو الشيخ علم الدين صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني الشافعي، من أبرز العلماء الذين تلقى عنهم السيوطي العلم، فقد لازمه ملازمة تامة حتى وفاته واجازه بالتدريس والإفتاء سنة ٨٦٦ هـ. توفي سنة ٨٦٨هـ [١]

وقد رثاه السيوطي بقصيدة مطلعها:

ففاضت الأعين مما جرى ... مات إمام الناس شيخ الورى

وغابت الشمس وماج الورى ... وناحت الورق على أيكها

وجوده في عصره ازهرا[٢] ... واظلم الأفق وقد كان من

٣- شرف الدين المناوي:

هو أبو زكريا يحيى بن محمد المناوي المصري، جد عبد الرؤوف شارح الجامع الصغير الموسوم بـ (فيض القدير).

ولد سنة ٧٩٨ هـ، وتصدر للافتاء والتدريس، وعين في قضاء القضاة سنة ٨٥٢ هـ.

لازمه السيوطي بعد وفاة شيخه البلقيني سنة ٨٦٨ هـ وقرا عليه شرح البهجة وقسماً من تفسير البيضاوي، توفي سنة ٨٧١ هـ [٣].

٤- تقي الدين أبو الفضل:

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الهاشمي العلوي المكي.

---

(١) انظر حسن المحاضرة ١/٥.

(٢) انظر المرثية بتمامها في: المنجم في المعجم للسيوطي: ١٨ ب (مخطوط).

(٣) انظر حسن المحاضرة ١/٤٤٥، شذرات الذهب ٧/٣١٢.

له تصانيف كثيرة، منها: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، وسيرة الخلفاء والملوك وغيرها، توفي بمكة سنة ٨٧١ هـ [١].

٥- تقي الدين الشمني:

هو الإمام تقي الدين احمد بن محمد الشمني القسطنطيني المالكي ثم الحنفي، ولد بالإسكندرية سنة ٨٠١ هـ وكان متميزاً في التفسير والحديث وعلوم اللغة، ويعد من ابرز شيوخ السيوطي في النحو، واخذ عنه الحديث والعربية، وواظب على حضور مجلسه مدة اربع سنوات، وكتب له تقريظاً على شرح الفيه ابن مالك، وعلى جمع الجوامع في العربية، وشهد له اكثر من مرة بالتقدم في العلوم توفي سنة ٨٧٢ هـ [٢].

٦- عز الدين الكناني:

هو أحمد بن ابراهيم بن نصر الله أبو البركات الكناني الحنبلي العسقلاني، ولد بالقاهرة في شهر ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ، ونشأ بها بكفالة امة، لموت ابيه في مدة رضاعته، ولي قضاء الديار المصرية وعمره سبعة عشر عاماً [٣]

قل فن إلا وصنف فيه نظماً أو نثراً، ونظم أصول ابن الحاجب ومختصر المحرر في الفقه، وغيرها كثير. توفي في شهر جمادى الأولى سنة ٨٧٦هـ، وقد قرأ

---

(١) الضوء اللامع ٢/١٧، هدية العارفين ٢/٢٠٥.

(٢) انظر بغية الوعاة ١/٣٧٥، حسن المحاضرة ١/٤٤٧، التحدث بنعمة الله ٢٤٥.

(٣) الضوء اللامع ١/٢٠٥.

عليه السيوطي قطعة من (جمع الجوامع) للسبكي، وقطعة من نظـــم مختصـــر ابـــن الحاجب وشرحه عليه [(١)]

تلاميذه:

تتلمذ على يده الإمام السيوطي عدد كبير من العلماء والفضلاء، وليـــس غريباً أن يكون السيوطي كذلك، فهو على قصر عمره مدرسة قائمة بذاتها في شـــتى الفنون الإسلامية. وممن تخرج على يديه:

١. ابن إياس:

وهو مؤرخ مصر الشهير محمد بن احمد بن إياس، كان يعبر عن الســـيوطي إثناء كتابته حوادث تاريخية بعبارة (شيخنا) وقد تكررت هـــذه العبـــارة في كتابـــه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) أكثر من مرة، وبناء على هذا فقد عـــده اغلـــب الباحثين المعاصرين من جملة تلامذته، وان كانت المصادر التي ترجمت للســـيوطي لم تكشف لنا عن مدى علاقة ابن إياس به، ولولا انه كان يطلق عبارة (شيخنا) لما عـــد من تلاميذه. توفي سنة ٩٣٠هـــ [(٢)].

٢. الشيخ عبد القاهر:

وهو الشيخ عبد القاهر بن محمد الشاذلي المؤذن المصـــري الشـــافعي، لازم الإمام السيوطي مدة طويلة وخبر أحواله، توفي سنة ٩٣٥ هـــ تقريباً، وله عدد مـــن

---

(١) الضوء اللامع ٢٠٦/١، تاريخ ابن ايـــاس ١٣/٣، التحـــدث بنعمـــة الله ٢٢٤، نظـــم العقيان ٣٢٣.

(٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ٣٥٩/٢، السيوطي النحوي ١٠٨ – ١٠٩.

المؤلفات منها: تشنيف الأسماع بشرح أحكام الجماع، وشفاء المتعال بأدوية السعال، وغيرها [١].

٣. ابن العجمي:

هو شمس الدين محمد بن احمد الشهير بابن العجمي المقدسي، اخذ عن مشايخ عديدين منهم البرهان بن ابي شريف، والجلال السيوطي، والسخاوي، وناصر الدين بن رزيق، توفي ببيت المقدس في رمضان سنة ٩٨٣ هـ [٢].

٤ .الداودي:

هو ابو الحسن محمد بن علي الداودي الشافعي، وقيل المالكي، وهو من اشهر تلاميذة السيوطي، واكثرهم اتصالاً به، وكان شديد الاعجاب به، وله عدة مصنفات منها: طبقات المفسرين، وذيل طبقات الشافعية، وذيل على لب الالباب لشيخه السيوطي. توفي سنة ٩٤٥ هـ، وقيل سنة ٩٤٦ هـ [٣].

٥. ابن طولون:

وهو المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن طولون، صاحب التصانيف الكثيرة، وقد عبر عنه العلامة احمد تيمور بسيوطي الشام، لمشابهته شيخه جلال الدين بكثرة التصانيف في جميع الفنون [٤]. وتوفي سنة ٩٥٣ هـ [٥].

---

(١) شذرات الذهب ٨/٢٩٠، فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ٢/١٠٦٣، الطبقات الصغرى الشعراني ص٧٥.

(٢) المصدر نفسه ٨/٢١٨.

(٣) انظر شذرات الذهب ٨/٢٦٤، الكواكب السائرة ٢/٧٢.

(٤) المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر ٧٨.

(٥) الكواكب السائرة ٢/٥٤.

٦. الصفوري:

هو قطب الدين محمد بن عبد الرحمن الصفوري الشافعي. اخذ العلم عن الامام السيوطي وغيره، توفي سنة ٩٥٨ هـ ودفن بسفح قايسون [١].

٧. الخضيري:

هو سليمان الخضيري المصري الشافعي، تتلمذ على يد الامام السيوطي والقطب الاوجاقي، توفي سنة ٩٦١ هـ، وقيل غير ذلك [٢].

٨. الطبلاوي:

هو ناصر الدين محمد بن سالم الطبلاوي الشافعي، أحد العلماء الأفراد بمصر، وقد تتلمذ لمشايخ كثيرين في عصره منهم قاضي القضاة زكريا والإمام السيوطي، والقلقشندي، وكان العبادة والتبتل، توفي سنة ٩٦٦هـ [٣].

٩. الإمام الشعراني:

هو أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني، صاحب التصانيف الكثيرة في النصوص، من أعيان القرن العاشر الهجري، قرأ شيئاً بسيطاً على الإمام السيوطي ثم أجازه في جميع العلوم كما صرح بذلك الشعراني [٤]. توفي بمصر سنة ٩٧٣ ودفن فيها [٥]

---

(١) المصدر نفسه ٨/٢١٨، ٨ /٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه ٨٢١٨، ٨/٣٢٩، الكواكب السائرة ٢/١٤٩.

(٣) المصدر نفسه ٨/٢١٨، ٨/٢٤٨، هدية العارفين ٢/٢٤٧.

(٤) ذيل الطبقات ص٥، الشعراني امام القرن العاشر ص٣٢.

(٥) انظر الشعراني ص٢٠٢.

وفاته:

ذكر اكثر الذين ترجموا للإمام السيوطي ان وفاته كانت في سحر الجمعة تاسع عشر جمادى الاولى، سنة ٩١١ هـ الموافق ١٧ /١٠ /١٥٠٥ م [١]، بعد ان استكمل من العمر احدى وستين سنة وعشرة اشهر وثمانية عشر يوماً.

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، صلى عليه المسلمون في كل مكان، عليه رحمه الله ورضوانه، وقد دفن بحوش قوصون خارج باب القرافة بالقاهرة على ما حررة (احمد تيمور باشا) في رسالة خاصة في هذا الموضوع [٢].

مؤلفاته:

حصلت مؤلفاته الإمام السيوطي في عصره وحتى اليوم على إقبال عظيم من قبل الباحثين وغيرهم، ولا نكاد نجد خزانة في الدنيا عربية كانت أو أجنبية تخلو من العديد منها.

وقد ذكر السيوطي في آخر ترجمته الذاتية التي كتبها في حسن المحاضرة ان كتبه بلغت ثلاثمائة كتاباً، ثم سردها مرتبة بحسب العلوم، وقد بلغت بالعدد ٢٨١ كتاباً فقط، ولعل السيوطي قد ذكر هذا العدد على وجه التقريب، او ان هناك سقطاً في حسن المحاضرة المطبوع [٣].

---

(١) انظر: الضوء اللامع ٧١/٤، بدر الطالع ٣٣٥/١، الكواكب السائرة ٢٢٦/١، شذرات الذهب ٥٤/٨، الطبقات الصغرى للشعراني ص١٨، دائرة المعارف الاسلامية ٢٧/١٢.

(٢) خبر الامام السيوطي وتحقيق موضعه لاحمد تيمور باشا ١٦- ١٧.

(٣) انظر حسن المحاضرة ٣٣٨/١ وما بعدها، واما مجموع ماذكره في التحدث بنعمة الله من كتب فهو ٤٣٣ كتاباً تقريباً.

ونقل الكتاني في فهرس الفهارس عن (ابن القاضي) قوله في (درة الحجـال): (ان تصانيف السيوطي تجاوزت الالف)، وقال: ابن العماد في (شذرات الذهب) [1]: (ان تلميذه الحافظ (الدوادي) استقصى اسماء مؤلفاته: الحافلة والكبـيرة والجامعـة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة فنافت على خمسمائة وكان آية سرعة التأليف).

وقد ذكر الامام السيوطي في رسالة صغيرة له جميع مؤلفاته التي ألفـــها في مختلف العلوم، ويعود تاريخ تأليف هذه الرسالة الى سنة ٩٠٣ هــ تقريبــاً، وقــد أوصل فيها عدد مؤلفاته الى ٥٣٨ مؤلفاً [2].

(٧٣) مؤلفاً في التفسير.

(٢٠٥) مؤلفاً في الحديث.

(٣٢) مؤلفاً في مصطلح الحديث.

(٧١) مؤلفاً في الفقه.

(٢٠) مؤلفاً في التصوف وأصول الفقه والدين.

(٢٠) مؤلفاً في اللغة والنحو والتصريف.

(٦٦) مؤلفاً في المعاني والبيان والبديع

---

(١) شذرات الذهب ٣٥٣/٨.

(٢) طبعت هذه الرسالة مع معجم طبقات الحفاظ لعز الدين السيروان.

ثانياً: الرسالة التي بين أيدينا

ومن رسائل الامام السيوطي الصغيرة الكثيرة هذه الرسالة التي بين ايدينـــا الموسومة (القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه) موضوع هـــذه الدراسة المتواضعة، وقد اخترتها في هذا الميدان لبواعث أهمها:

١. وجدت هذه الرسالة قريبة من العلم الذي أحببته وشغفت به، والذي هـــو اشرف العلوم بعد القرآن الكريم، ألا وهو الحديث النبوي الشريف.

٢. ان هذه الرسالة تضمنت بحثا رائعا في معرفة النفس، وكيف ان المرء عـــن طريق نفسة يستطيع ان يعرف ربه عز وجل.

٣. كنت دائما اتطلع الى دراسة –ولو متواضعة– اقف من خلالها على ابرز مـــا يميز هذ الامام الجليل المكثر في التأليف، لاسيما في علم الحديث والاخـــلاق.. فحاولت بهذا الجهد المتواضع ان البي هذه الرغبة، واحقق هذا الطموح.

وقد كانت دراستي لهذه الرسالة تتمثل فيما ياتي:

أولا: اسم الرسالة.

ثانيا: نسبة الرسالة إلى المؤلف.

ثالثا: زمن تأليف الرسالة

رابعا: سبب تأليفها.

خامسا: هل كتب غيره في هذا الموضوع.

سادسا: نسخ الرسالة

ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه الرسالة قد طبعت ضمن كتاب الحاوي للفتاوي للامام السيوطي [1]، كما طبعت طبعة اخرى ضمن رسائل الامام السيوطي عام ١٨٨٦ م ولكن لم تحظ هذه الرسالة بالعناية اللائقة بها، كما وقعت فيها بعض الاخطاء، وسقط منها بعض الكلمات.

اولا: اسم الرسالة:

من خلال البحث والتنقيب في كتب الامام السيوطي -رحمه الله- وكتب التراجم التي نستقي منها ما يتعلق بهذا الشان، اضافة الى تتبع فهارس المخطوطات في المكتبات العامة، استطيع الجزم بصحة اسم الرسالة الذي اثبته وهو (القول الاشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه) والدليل على ذلك ما ياتي:

١. ذكر الامام السيوطي نفسه هذه الرسالة بهذا الاسم في رسالة صغيرة مطبوعة ذكر فيها مؤلفاته الى قبل وفاته بسبع سنين [2]. وفي كتابة حسن المحاضرة [3].

٢. وردت الرسالة بهذا الاسم في مخطوطات مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد تحت رقم ٢٢١ / ١٣٧٤١ مجاميع ورقم (٢٢٨٠٥/١٤) مجاميع [4].

٣. ذكر هذه الرسالة بالاسم الذي اثبتناه صاحب كشف الظنون حاجي خليفة ص ١٣٦٢، والبغدادي في كتابة هدية العارفين ١٤٥/١، وصاحب كتاب

---

(١) انظر الحاوي للفتاوي ٤٥١/٢ - ٤٥٥.

(٢) اسم الرسالة التي ضمن فيها مؤلفاته (رسائل اثنا عشر) وقد نشرها الاستاذ عز الدين السيروان مع كتابه معجم طبقات الحفاظ سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(٣) حسن المحاضرة ٣٤١/١.

(٤) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد. قسم الحديث وعلومه.

عقود الجوهر، وصاحب كتاب دليل مخطوطات السيوطي واماكن وجودها ص٨١ رقم ٢١٠ [١]، ودليل مخطوطات جامعة الرياض فيلم (٧) [٢] وغيرهم.

ثانياً: نسبة الرسالة الى المؤلف:

لدينا من الأدلة القاطعة التي تؤكد صحة نسبة هذه الرسالة الى المؤلف، ومنها:

١. ما جاء في رسالة المؤلف نفسه الموسومة (رسائل اثنا عشر) والتي ذكر فيها مؤلفاته، وعد منها هذه الرسالة التي بين أيدينا. وناهيك بنص المؤلف دلالة على صحة النسب إليه. كما ذكرها في كتابه حسن المحاضرة. [٣]

٢. اثبت صحة هذه النسبة حاجي خليفة في كتابة كشف الظنون [٤]، والبغدادي في هدية العارفين [٥] إذ ذكرها ضمن مؤلفات السيوطي.

ثالثا: زمن تأليف الرسالة:

لم استطع الوصول الى معرفة زمن تأليف الرسالة، رغم ما بذلته من جهد، إلا ان من الموكد ان الامام السيوطي -رحمه الله- لم يؤلفها في السنوات السبع الاخيرة من حياته بدليل انه قد ذكرها في رسالته المسماة (رسائل اثنا عشر) التي

---

(١) دليل مخطوطات السيوطي واماكن وجودها ص٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: حسن المحاضرة ١/ ٣٤١.

(٤) انظر: كشف الظنون: ١٣٦٢.

(٥) انظر: هدية العارفين: ١/ ٥٤١.

اشرنا إليها آنفا والتي ألفها قبل وفاته بسبع سنين كما ذكر الاستاذ عز الدين السيروان [1].

رابعا: سبب تأليف الرسالة:

إن خير من يجيب على هذا السؤال هو المؤلف نفسه، وقد بين في مقدمة الرسالة سبب التأليف فقال: (فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذي اشتهر على الألسنة (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وربما فهم منه معنى لاصحة له، وربما نسب الى قوم فرقمت في هذه الكراسة ما يبين الحال ويزيل الاشكال)[2]

خامسا: هل كتب غيره في هذا الموضوع:

لاشك ان هذا الموضوع ليس وليد اليوم والامس، وان اصحاب الحديث والتصوف قد تناولوه في كتبهم قديما وحديثا، الا انني لم اجد فيما اطلعت عليه من فهارس ومراجع من الف رسالة مستقلة في هذا الحديث قبل الامام السيوطي -رحمه الله- سوى ابن عربي -رحمه الله- حيث الف رسالة بعنوان (كشف حقائق التوحيد في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه المجيد) [3] والله ﷻ اعلم.

---

(١) انظر معجم الحافظ ص ١٧.

(٢) القول الاشبه في حديث (من عرف نفسه عرف ربه) ص١.

(٣) توجد نسخة منه محفوضة في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد، تحل رقم . (٤١/ ٢٢٠٥) مجاميع.

سادسا: نسخ الرسالة

وقد توفر لديه من نسخ هذه الرسالة ما يأتي:

١. نسخة مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد، المحفوظة ضمن مجموعة تشتمل على رسائل عديدة للامام السيوطي وملا علي القاري، ورقمها (١٢٧٤١/٢٢) مجاميع وعليها عبارة (أوقفه السيد حسن الأنكرلي) والرسالة خطها واضح جداً، وقياسها ٢٠ × ١٣ سم وتتكون من ست صفحات، ومعدل سطورها (١٠) اسطر. وقد كتبت بالحبر الاسود، وميزت بعض كلماتها بالحبر الأحمر، وهي مبدوءة بما يأتي:

(الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد: فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذي اشتهر على الألسنة (من عرف نفسه فقد عرف ربه)..)

مختتمة بقوله: (وقد تحصل ما سقناه في معنى هذا الأثر أقوال، والله أعلم بالصواب..)

وقد اثبت عليها ناسخها الذي لم يذكر اسمه بعض التعليقات مثل:

١. إكمال النقص الحاصل في النسخة التي نسخ منها.. فمثلا عند قول المؤلف: (لما كان هذا الروح موجودا قبل وجود الجسد (ويكون) موجودة بعد عدم الجسد علمنا انهﷺ موجود قبل كون خلقه) فعبارة (يكون) التي جعلها الناسخ بين قوسين هي إضافاته وزياداته.

٢. ذكر الكلمة التي تبدأ بها الصفحة الاتية في نهاية الصفحة التي قبلها كما في بعض نسخ القران الكريم، وبعضها في الجانب الايسر من الصفحة.

٣. تصحيح بعض ما يراه خطا في النسخ فمثلا: ان الوجه التاسع لم يذكر ضمن الوجوه العشرة وانما ذكر بدله الوجه الثامن وهو بلا شك تصحيف، فنبه علية الناسخ، واشار الى الصواب في هامش الصفحة بالحبر الاحمر وذكر (الوجه التاسع).

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف –أ–

٢. نسخة اخرى في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد ايضاً، محفوظة ضمن مجموعة تشتمل على رسائل كثيرة في التصوف. ورقمها (١٤ / ٢٢٨٠٥) مجاميع، وعليها ختم مديرية الاثار العامة، حيازة المخطوطات، وعبارة اخرى مضمونها (أوقف هذا الكتاب على المرحوم مصطفى محمد أمين آل المدرس من قبل أولاده لمكتبة الإمام الأعظم في شوال الأغر ١٣٦٩ هجرية). وعدد صفحاتها (ثلاث) صفحات، ومعدل سطور الصفحة الواحدة (٢٣) سطراً تقريباً، ومعدل كلمات السطر الواحد (١٥) كلمة تقريباً، وقياسها ٢١ ×١٥ سم، وقد كتبت هذه النسخة بالحبر الاسود، ومميزت بعض كلماتها بالحبر الاحمر. وتبدأ هذه النسخة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد: فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذي اشتهر على الألسنة) وتنتهي بـ)(وقد تحصل مما سقناه في معنى الأثر أقوال والله أعلم بالصواب).

وقد وقعت فيها بعض الأخطاء والتصحيفات كذكر كلمة (الهوى) بدلاً من (الهواء) وكلمة (المرابحة) بدلاً من كلمة (ذي الرائحة). ولم يثبت عليها الناسخ اسمه.

وقد رمزت لهذه النسخة بحر ف –ب–.

٣- نسخة دار صدام للمخطوطات ببغداد، المحفوظة ضمن مجموعة تشتمل على إحدى وثلاثين رسالة، أغلبها للسيوطي، ورقمها (١١١١١/ ٢٥) وخط الرسالة واضح جميل، وتتكون من صفحتين ونصف تقريباً، ومعدل سطورها (٣١) سطراً، ومعدل كلمات السطر الواحد (١٤) كلمة، وقد كتبت بالحبر الاسود وميزت بعض كلماتها بالحبر الاحمر، وهي مبدوءة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عبادة الذين اصطفى وبعد: فقد كثر السؤال عن معنى ....) ومختتمة بـ (وقد تحصل مما سقناه في معنى هذا الاثر أقوال والله أعلم بالصواب وتكاد تكون خالية من الاخطاء والتصحيفات، وقد اثبت عليها ناسخها الذي لم يصرح باسمه بعض التعليقات مثل:

أ. إكمال النقص لحاصل في النسخة التي نسخ منها. فمثلاً نجده يكمل النقص الواقع بعد قول المؤلف (لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء اقرب الى الروح من شيء) (بل هو قريب إلى كل شيء في الجسد علمنا انه قريب إلى كل شيء. الخ).

ب. تصحيح بعض ما يراه خطأ في النسخ فمثلاً: في البيت الثاني من الشعر الذي نظمه السيوطي، وذكره في آخر رسالته يجعل (ثم) بدل (هو).

وقد اعتمدت على هذه النسخة في التحقيق لوضوحها وخلوها من الأخطاء ورمزت لها بالأصل.

منهجي في التحقيق

١. نسخت الرسالة بخطي لإبراز الفواصل، وضبط الجمل، وتبين الاقوال بصورة تساعد على فهم المعنى، وتبرز بصورة صحيحة.

٢. المقارنة بين نسخ الرسالة، والإشارة الى مواضع الاختلاف فيها. والنسخة التي اعتمدت عليها هي نسخة دار صدام للمخطوطات، وقد كان سبب اعتمادي عليها وضوحها وخلوها من الأخطاء تقريباً كما اشرت الى ذلك انفاً.

٣. أبقيت النص كما تقتضيه أمانة التحقيق، وأشرت الى وجه الصواب ان كان هناك خطأ في النص.

٤. رجعت في توثيق مادة الرسالة الى الكتب التي نقل منها الامام السيوطي وصرح باسمها، كفتاوى الامام النووي، والاحاديث المشتهرة للزركشي، ولطائف المنن لابن عطاء الله، وقوت القلوب لابي طالب المكي، وغيرها من الكتب.

٥. وضحت ما ابهم من كلماتها، وذلك بالرجوع الى كتب اللغة.

٦. وضعت بعض العناوين الفرعية كي تساعد في استيعاب القارئ للرسالة ومحتوياتها، وقد حصرتها بين قوسين لئلا يتوهم انها من كلام المؤلف.

٧. علقت على بعض الامور التي رأيت انها بحاجة الى توضيح وبيان.

٨. قمت بترقيم الآيات القرآنية، واشرت الى مواضعها في السور.

٩. ترجمت لجميع الاعلام الواردة في الرسالة.

١٠. ذيلت البحث بفهارس للايات القرانية والاحاديث النبويـــــة والاشـــعار والاعلام والكتب سائلاً المولى عز وجل، ان يمن عليّ بـــالصواب، ويعصـــم القلم من الزلل، والنفس من الهوى، انه نعم المولى ونعم المجيب، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني
تحقيق الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم،

وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذي اشتهر على الألسنة (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1]

وربما فهم منه معنى لا صحة له [2]، وربما نسب الى قوم أكابر، فرقمت [3] في هذه الكراسة ما يبين الحال، ويزيل الاشكال، وفيه مقالان:

---

(١) ورد الكلام على هذ الحديث في الكتب الاتية: اللؤلؤ المرصوع للمشيشي ١/٥٩٤ والغماز على اللماز للسمهودي: ٢٨٧، الدرر المنتثرة في الاحاديث المشترة للسيوطي ص١٥٢، والمصنوع لعلي القاري ص٣٥٢، وكشف الخفا للعجلوني ٢/ ٣٦١، وتنزيه الشريعة لابن عراق ٢/٤٠٢، وتمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع ١٧٠، والجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث للعامري: ٤٣٦، والمقاصد الحسنة للسخاوي ٤١٩، والاحاديث المشكلة في الرتبة للحوت ٢٤٩ والكشف الالهي للسندروسي: ٦٧٨، والتهاني في التعقب على موضوعات الصغاني لعبد العزيز الغماري: ٣٣. والموضوعات للصغاني: ٢٨.

(٢) في نسخة ا: (وربما فهم منه معنى الصحة له).

(٣) الرقم: الكتابة، قال ﷻ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾(المطففين:٩): انظر لسان العرب: مادة رقم.

المقال الأول: في تخريج الحديث

إن هذا الحديث ليس بصحيح [١]، وقد سئل عنه النووي [٢] في فتاويه[٣] فقال: انه ليس بثابت[٤]، وقال ابن تيمية[٥]: موضوع [٦]، وقال الزركشي [٧]،

---

(١) يعني انه موضوع، لا يتصف بشي من الصحة، لان العلماء قالوا في غير أحاديث الأحكام: لا يصح او ليس بصحيح، أو ليس بثابت فإنما يعنون به ان الحديث موضوع. انظر مقدمة كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص٢٧ وما بعدها.

(٢) النووي: هو يحيى بن شرف، النووي، صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة والنحو والفقه والحديث، ولي مشيخة الحديث في دمشق، توفي سنة ٦٧٦ هـ، انظر طبقات الحفاظ للسيوطي: ٥١٣

(٣) النووي: المسائل المنثورة في فتاوى الإمام النووي: ٢٧٤، ونص كلام النووي عن الحديث (ليس هو بثابت).

(٤) في نسخة ب: ليسس بثابت.

(٥) ابن تيمية: هو تقي الدين ابو العباس احمد بن الحليم الحراني، ولد في حران سنة ٦٦١ هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨ هـ، له تصانيف عديدة في مختلف العلوم الشرعية، انظر طبقات الحفاظ: ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٦) الحديث الموضوع: هو المختلق المصنوع المنسوب الى النبي% كذبا وزورا، وهو شر انواع الضعيف، وتحرم روايته مع العلم به في أي معنى كان الا مبينا. انظر تدريب الراوي للسيوطي ١/ ٢٧٤. في نسخة ا، ب سقطت عبارة (قال ابن تيمية: موضوع)، وكذا سقطت من طبعة الحاوي للفتاوي.

(٧) ابو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر المصري الزركشي، من كبار فقهاء الشافعية، وكان فقيها اصولياً، ادبياً، فاضلاً، درس وافتى، وله مصنفات كثيرة. ولد في القاهرة وتوفي فيها سنة ٧٩٤ هـ. انظر شذرات الذهب ٣٣٥/٣، وانظر كلامه على هذا الحديث في كتابه (درء تعارض العقل والنقل ١٠ /٤٧).

في الاحاديث المشتهرة [١]: ذكر ابن السمعاني [٢] انه من كلام يحيى بن معاذ الرازي[٣]

المقال الثاني: في معناه[٤]

قال النووي [٥] في فتاويه [٦]: معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار الى الله، والعبودية له، عرف ربه بالقوة، والقهر[٧]، والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى [٨].

---

(١) التذكرة في الاحاديث المشتهرة للزركشي ١٢٩، ونص كلامه: " وقال الامام أبو المظفر، السمعاني في " القواطع " في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي: هذا لا يثبت عن النبيﷺ وانما هو لفظ محكي عن يحيى بن معاذ الرازي ".أ.هـ.

(٢) ابن السمعاني: هو أبو سعد عبد الكريم بن محمد، صاحب كتاب الانساب، من ائمة الحديث وحفاظه، توفي سنة ٥٦٢. انظر تذكره الحفاظ ١٣١٦/٤، والتذكرة في الاحاديث المشتهرة للزركشي ١٢٩.

(٣) هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أبو زكريا، من كبار الصالحين، كان واحد وقته في فنه، مات سنة ٢٥٨ هـ، ودفن بنيسابور. انظر طبقات الصوفية ص١٠٧، وطبقات الاولياء ص٣٢١.

(٤) نسب بعضهم هذا القول إلى أبي سعيد الخراز المتوفى سنة ٢٧٩، وقد راجعت طبقات الصوفية للسلمي فوجدت فيه قولاً من هذا القول. قاله أبو سعيد ونصه: (ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه). انظر طبقات الصوفية ص٢٣١.

(٥) تقدمت ترجمته، وفي نسخة ب: على النووي وهو خطأ.

(٦) المسائل المنثورة ص٢٧٤.

(٧) سقطت كلمة (القهر) من نسخة أ. ومن طبعة الحاوي للفتاوي.

(٨) وتمام كلام (ومن عرف ربه بذلك كل عن بلوغ حقيقة شكره، والثناء عليه كما ثبت في صحيح مسلم وغيره ان رسول اللهﷺ قال: "سبحانك لا أحصي ثناء عليك، أنت

وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله [١] في لطائف المنن [٢]: سمعت شيخنا أبا العباس المرسي [٣] يقول: في هذا الحديث تأويلان:

أحدهما: ان من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه؛ فتكون معرفة النفس اولا ثم معرفة الله من بعد.

والثاني: ان من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على انه عرف الله من قبل ؛ فالاول حال السالكين [٤]، والثاني حال المجذوبين [٥] وقال أبو طالب المكي [٦]

كما أثنيت على نفسك" أ.هـ المسائل المنثورة للنووي، تحقيق محمد الحجار / ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(١) ابن عطاء الله: هو تاج الدين احمد بن محمد بن عطاء الله الاسكندراني، الزاهد المشهور، المشهود له بالصلاح والتقى، صاحب الحكم المعروف. تؤفي سنة ٧٠٩ هـ. انظر الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ٢٠.

(٢) لطائف المنن لابن عطاء الله: ص٩٤.

(٣) أبو العباس المرسي: هو الامام العارف بالله أحمد أبو العباس، من كبار رجال الصوفية، تتلمذ على يد أبي الحسن الشاذلي، توفي في مصر سنة ٦٨٦ هـ. انظر الطبقات الكبرى:

(٤) السالكون: جمع سالك: وهو الذي مشى على القلب عن على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، فكان العلم الحاصل له عينا يأبى من ورود الشبهة المضللة له، التعريفات للجرجاني ص٦٨.

(٥) الجذب: هو حال من احوال النفس يغيب فيه القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق ويتصل فيها بالعلم العلوي. انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي للدكتور رفيق العجم: ٢٤٦

(٦) ابو طالب المكي: هو شيخ الصوفية محمد بن علي بن عطية الحارث، له كتاب القوت الذي قيل عنه: (لم يؤلف في هذا الباب مثله) وله تفسير كبير. توفي ببغداد سنة ٣٨٦ هـ. انظر تاريخ بغداد: ٣ / ٨٩: وفيات الاعيان: ١/ ٤٩١.

في (قوت القلوب)[1]: معناه إذا [2] عرفت صفات نفسك في معاملة الخلــق، وانك [3] تكره الاعتراض عليك في أفعالك، وان يعاب عليك ما تصنعـــه، عرفت منها صفات خالقك، وانه يكره ذلك، فــارض بقضائــه، وعاملــه بما تحب أن تعامل به.

وقال الشـــيخ عــز الديــن [4]: وقــد ظــهر لي [5] مــن ســر هــذا الحديــث مــا يجــب كشــفه، ويستحســـن وصفـــه، وهـــو ان الله ﷻ وضــع هــذه الــروح[6] الروحانيــة[7]، في هـــذه الجثـــة الجثمانيـــة[8]،

(١) قوت القلوب لابي طالب المكي: ١/ ١٣٦.

(٢) في نسخة ا: فاذا.

(٣) في نسخة ا: وانت، وفي نسخة ب أيضاً: وانت.

(٤) عز الدين: هو سلطان العلماء ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم السلمي الددمشقي ولد سنة ٥٧٧ هـــ، وتوفي بمصر ٦٦٠ هـــ من فقهاء الشافعية، لـــه مصنفات كثيرة. والقول الذي ذكره السيوطي هنا. قاله في كتابه المسمى (حـــل الرمـــوز ومفاتيح الكنوز). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٨٠ وما بعدها.

(٥) في نسخة ا سقطت كلمة (لي)، وسقطت أيضا من (ب).

(٦) الروح: هي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان، الراكبة على الروح الحيواني، نازل من عالم الامر، تعجز العقول عن ادراك كنهه. انظر التعريفات للجرجاني ص٦٥.

(٧) الروحانية: يعني الرقيقة اللطيفة. انظر: معجم المصطلحـــات الصوفيـــة للدكتـــور انـــور فؤاد: ٩٢

(٨) الجثمانية: نسبة الى الجثمان، يقال ما أحسن جثمان الرجل أي جسده. انظر لسان العرب: مادة جثم.

لطيفة لاهوتية[١]، موضوعة[٢]، في كثيفة[٣] ناسوتية[٤]، دالة على وحدانيته وربانيته

ووجه الاستدلال بذلك من عشرة اوجه:

الاول: ان هذا الهيكل [٥]الانساني لما كان مفتقرا الى مدبر ومحرك، وهذه الروح مدبرة ومحركة علمنا ان هذا العالم لابد له من مدبر ومحرك.

الثاني: لما كان مدبر الهيكل [٦] واحدا، وهو الروح علمنا ان مدبر هذا العلم واحد[٧] لا شريك له في تدبيره وتقديره، ولا جائز ان يكون له شريك في ملكه.

قال ﷻ: ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾[٨].

وقال ﷻ ﴿لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا﴾[٩].

---

(١) اللاهوتية: نسبة الى اللاهوت، أي ذات الاله او الخالق. انظر معجم المصطلحات الصوفية: ١٥٠

(٢) سقطت من نسخة ا و ب.

(٣) في طبع الحاوي: " كتيفة " وهو تصحيف.

(٤) الناسوت:نسبة الى الناسوت أي البدن. والكثيفة: يعني الغليظة. انظر: المصدر السابق: ١٥٠

(٥) الهيكل: هو الضخم من كل شي، والهيكل العظمي: هو مجموعة العظام التي يقوم عليها بناء الجسد. انظر لسان العرب: مادة هكل

(٦) في نسخة ا: (الجسد) بدل كلمة الهيكل ؛ وفي نسخة ب: (الفلك)

(٧) في نسخة ا: (وحده) وفي الاصل وطبعة الحاوي (واحدا) وهو تصحيف من الناسخ

(٨) الانبياء: من اية ٢٢.

(٩) الاسراء: اية ٤٢ – ٤٣.

وقال ﷻ ﴿وما كان معه من اله، اذا لذهب كل اله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾[1]

الثالث: لما كان هذا الجسد لا يتحرك الا بارادة الروح وتحريكها له، علمنا انه مريد لما هو كائن في كونه لا يتحرك متحرك بخير او شر الا بتقديره وارادته[2] وقضائه [3].

الرابع: لما كان لا يتحرك في الجسد شيء الا يعلم الروح وشعورها به لا يخفى على الروح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء [4].

الخامس: لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء اقرب الى الروح من شيء، بل هو قريب الى كل شيء في الجسد، علمنا انه اقرب الى كل شيء ليس شيء اقرب اليه من شيء، ولا شيء ابعد اليه من شيء، لا بمعنى قرب المسافة، لانه منزه عن ذلك [5].

---

(١) المؤمنون: اية ٩١.

(٢) زيادة من نسخة -ب-.

(٣) مصداق ذلك قوله ﷻ (وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله عليماً حكيماً) سورة الانسلن اية ٣٠.

(٤) قال ﷻ (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) سورة يونس: اية ٦١، ومعنى لا يعزب: أي لا يغيب.

(٥) قربه ﷻ من خلقه بالعلم والمراقبة والاحاطة والتصرف والتدبير ونحو ذلك مما يليق نسبته الى الله ﷻ مما هو من علامات القرب، قال ﷻ (وهو معكم اينما كنتم) الحديد / ٤ وقال ﷻ (ونحن اقرب اليه من حب الوريد) سورة ق:١٦.

السادس: لما كان الروح موجوداً قبل وجود الجسد، ويكون موجوداً [(١)] بعد عدم الجسد، علمنا انه‌ﷻ موجود [(٢)] قبل كون خلقه، ويكون موجوداً بعد فقد خلقه، ما زال ولا يزال، وتقدس عن الزوال [(٣)].

السابع: لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية علمنا انه مقدس عن الكيفية [(٤)]

الثامن: لما كان الروح في الجسد لا يعلم له اينية، علمنا انه منزه عن الكيفية والاينية [(٥)]، فلا يوصف بأين ولا كيف، بل الروح موجودة في كل الجسد، ما خلا منها [(٦)] شيء من الجسد، وكذلك [(٧)] الحقﷻ موجود في كل مكان ما خلا منه مكان، وتنزه عن المكان والزمان [(٨)].

---

(١) في نسخة أ.: (موجودة).

(٢) في طبقة الحاوي " موجداً " وهو تصحيف.

(٣) قال ﷻ (كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن: ايه ٢٧. وقال‌ﷻ: (كل شيء هالك الا وجهه) القصص: اية ٨٨.

(٤) الكيفية: نسبه الى الكيف، وهو هيئة قارة في الشيء لا يقتضي قسمه ولا نسبه لذاته. انظر التعريفات للجرجاني ١٠٥.

(٥) والاينية: نسبة الى الاين: وهو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان. انظر التعريفات للجرجاني: ٢٨.

(٦) في نسخة أ: زائدة (من)

(٧) في نسخة أ: زائدة (هو)

(٨) سقطت من نسخة أ، وفي نسخة ب: (وتنزه عن الزمان والمكان).

التاسع[1]: لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر، ولا يمثل بالصور، علمنا انه لا تدركه الابصار، ولا يمثل بالصور والاثار، ولا يشبه بالشموس والأقمار ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [2].

العاشر: لما كامن الروح لا يحس ولا يمس، علمنا انه منزه عن الحس والجسم[3] واللمس والمس [4]، فهذا معنى قوله (من عرف نفسه (فقد) [5] عرف ربه) فطوبى لمن عرف، وبذنبه اعترف.

وفي هذا الحديث تفسير اخر، وهو انك تعرف ان صفات نفسك على الضد من صفات ربك، فمن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالجفاء والخطأ عرف ربه بالوفاء والعطاء، ومن عرف نفسه كما هي عرف ربه كما هو.

واعلم انه لاسبيل لك الى معرفة اياك كما اياك [6]، فكيف لك سبيل الى معرفة اياه كما اياه [7] ؟ فكأنه في قوله (من عرف نفسك (فقد) [8] عرف ربه) علق

---

(١) جاء في نسخة أ (الوجه الثامن) وهو تصحيف من الناسخ.

(٢) الشورى: ايه ١١.

(٣) الحس: هو الادراك باحدى الحواس الخمسة وهي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس: انظر المصباح المنير: ١٣٥.

(٤) المس: هو اللمس، يقال مس الشيء مسا: أي لمسه بيده.

(٥) سقطت من الاصل، ومن نسخة (ب).

(٦) أي الى معرفة نفسك على حقيقتها.

(٧) أي الى معرفة الله كما هو.

(٨) سقطت من الاصل.

المستحيل [١] على مستحيل، لانه مستحيل ان تعرف نفسك وكيفيتها وكميتها [٢]، فانك اذا كنت لا تطيق بان تصف نفسك التي هي بين جنبيك بكيفية، واينية [٣] ولا بسجية [٤] ولا هيكلية [٥] ولا هي بمرئية، فكيف يليق بعبوديتك ان تصف الربوبية بكيف، واين، وهو مقدس عن الكيف والاين ؟ وفي ذلك اقول:

قال لمن يفهم عني ما اقول ... قصر القول، فذا شرح يطول

هو [٦] سر غامض من دونه ... ضربت والله اعناق الفحول [٧]

انت لا تعرف اياك، ولم [٨] ... تدر من انت ولا كيف الوصول

لا، ولا تدري صفات ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول

اين منك الروح في جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول ؟

هذه الانفاس هل تحصرها ؟ ... لا، ولا تدري متى تزول

اين منك العقل والفهم اذا ... غلب النوم فقل لي ياجهوك ؟

انت اكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك ام كيف تبول ؟

---

(١) في نسخة الاصل (مستحيل).

(٢) الكمية: نسبه الى الكم هو مقدار الشيء. انظر التعريفات للجرجاني ص١٠٥.

(٣) سبق تعريف الاينية والكيفية.

(٤) السجية: هي الطبيعة والخلق، جمع سجايا.

(٥) الهيكلية: نسبة الى الهيكل، وهو الضخم من كل شيء.

(٦) في نسخة أوقع تصحيف اذ ذكر مكان (هو) (ثم).

(٧) الفحول: جمع فحل: وهو الذكر الحيوان، وفحول العلم والشعر: الفائقون فيه، انظر المصباح المنير: ٤٦٣.

(٨) في نسخة أ، ب (ولا).

فـــاذا كـــانت طوايـــــاك الـــتي ... بين جنبيك كذا فيها ضلـــــول [1]

كيف تدري من على العرش اســـتوى ... لا تقل كيف استوى كيف النـــزول

كيف يجلـــى الله ؟ ام كيـــف يـــرى ... فلعمـــري ليـــس ذا الا فضـــول

هـــو لا كيـــف ولا ايـــن لـــه ... وهو رب الكيف، والكيف يحـــول.

وهو فـــوق الفـــوق، لا فـــوق لـــه ... وهو في كل النواحي لا يـــزول [2]

جل ذاتـــا، وصفـــات [3] وسمـــا [4] ... وسبحانه قـــدره عمـــا اقـــول [5]

وقال القونوي [6] في شرح التعرف[7]:

ذكر بعضهم في هذا الحديث انه من باب التعليق بما لا يكون، وذلـــك ان معرفة النفس قد سد الشارع بابها لقوله: ﴿قل الروح من امر ربي﴾[8]

فنبه بذلك على ان الانسان اذا عجز عن ادراك نفسه التي هي مـــن جملـــة المخلوقات، وهي اقـــرب الاشـــياء اليـــه، فـــهو عـــن معرفـــة خالقـــه اعجـــز،

---

(١) في طبعة الحاوي:" خلول "

(٢) قال ﷻ (وهو معكم اينما كنتم) الحديد: ايه ٤.

(٣) في نسخة أ حصل تصحيف ذا ذكرت هكذا (صفاتا). وهو خطأ بين، ووقع في الاصل ايضاً وطبعة الحاوي للفتاوي.

(٤) سما: علا وارتفع وتطاول .. انظر لسان العرب: مادة سما.

(٥) في نسخة أ: (في ﷻ ملكه عما اقول).

(٦) القونوي: هو محمد بن اسحاق بن محمد القونوي، اخذ عن ابن عربي، ولد بقونية، وتـــوفي فيها سنة ٦٧٢. انظر الطبقات الكبرى: ١٣٨/١، وطبقات الاولياء ص٤٦٧، وطبقـــات الشافعية: ١٩/٥.

(٧) لم اقف على هذا الكتاب.

(٨) الاسراء: اية ٨٥.

بل هو عاجز عن ادراك حقيقة قوله وحواسه كسمعه وبصرة وشمه وكلامه وغير ذلك[١]،

فان للناس في كل منه اختلافات ومذاهب لا يحصل الناظر منها على طائل[٢]، كاختلافهم في ان الابصار بالانطباع[٣] او بخروج الشعاع[٤]،

وان الشم بتكيف الهواء وبانبثاث الاجزاء من ذي الرائحة، الى غير ذلك من الاختلافات المشهورة، فاذا كان الحال في هذه الاشياء الظاهرة التي يلابسها الانسان على هذا المنوال، فكيف يكون الحال في معرفة الكبير المتعال ؟ وقد تحصل مما سقناه في معنى هذا الاثر[٥]

---

(١) ورحم الله القائل: لا شيء في هذه الدنيا تحيط به الا احاطه منقوص بمنقوص

(٢) أي على نفع ومزية.

(٣) أي انطباع صور المرئيات في العين كما تنطبع في المرآة.

(٤) أي من العين المبصرة، يقال اشعت الشمس، أي نشرت بشعاعهاوهو ما يرى من ضوئها عند ذرورها كالقضبان، وشعاع العين هو نورها الذي تدرك به المبصرات.

(٥) هو القول الماثور عن يحيى بن معاذ رحمه الله ﷺ (من عرف نفسه فقد عرف ربه)

اقوال[1] والله اعلم.

---

(١) ومما روي من اقوال في هذا الاثر ولم يذكرها السيوطي في رسالته قول الفقيه ابن حجر الهيتمي في فتاويه ص٢٠٦ عندما سئل عنه: (لا اصل له، وانما يحكي من كلام يحيى بن معاذ الرازي الصوفي. ومعناه: من عرف نفسه بالعجز والافتقار والتقصير والذلة والانكسار، عرف ربه بصفات الجلالة والجمال على ما ينبغي لهما. فادام مراقبته حتى يفتح له (باب) مشاهدته، فيكون من اخصائه الذين افرغ عليهم بسجال معرفته والبسهم صوافي خلافته)أ.هـ.

وقال الامام الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني في كتابه (تفصيل النشاتين وتحصيل السعادتين): (ان من عرف نفسه فقد عرف الله ﷻ، فقد روي انه ما انزل الله من كتلب الا وفيه –اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك– وهذا معنى قوله ﷻ (سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فصلت: ٥٣)أ.هـ

وقال ابن عربي: (هذا الحديث ان لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف.) كشف الخفاء..

وقال ملا علي القارئ: فقد قيل (ليس بثابت – أي لفظاً – لكن معناه ثابت من عرف نفسه بالجهاد فقد عرف ربه بالعلم ومن عرف نفسه بالفناء فقد عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالعجز والضعف عرف ربه بالقدرة والقوة. وهو مستفاد من قوله ﷻ (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفة نفسه) البقرة /١٣٠ أي جهلها حيث لم يعرف ربها) انظر الاسرار المرفوعة في الاحاديث الموضوعة ٢٣٨. ونقل الحفيد الهروي في كتابة (الدر النضيد) ص٧٦ عن الامام الغزالي كلاما في معنى هذا الاثر، جاء في اخره: (ان المرء يعجز عن معرفة ربه، اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه)أ.هـ

وسئل سهل بن عبد الله التستري عن قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) قال: (من عرف نفسه لربه عرف ربه بنفسه) أ. هـ حلية الاولياء ١٠ / ٢٠٨.

المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق والدراسة

١. القران الكريم.

٢. الاحاديث المشكلة في الرتبة للشيخ محمد درويش الحوت، علق عليه كمال يوسف الحوت، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

٣. الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة لملا علي القاري، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ.

٤. الاعلام للزركلي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٤ م – ١٩٥٩ م.

٥. البدر الطالع للامام الشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربي بالقاهرة، سنة ١٩٦٥ م.

٧. التبر المسبوك في ذيل السلوك للحافظ السخاوي، مطبعة بولاق ١٨٩٦م.

٨. تاريخ الادب العربي، د. فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢ م.

٩. التحدث بنعمة الله، تحقيق اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربي الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢ م.

١٠. تحقيق، المخطوطات العلوم الشرعية للدكتور محيي هلال السرحان، مطبعة الارشاد، بغداد، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.

١١. التذكرة في الاحاديث المشتهرة للزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٢. تذكرة الحفاظ للامام الذهبي، بيروت دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ.

١٣. التعريفات للامام الجرجاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، بدون تاريخ.

١٤. تفصيل النشاتين وتحصيل السعادتين للراغب الاصفهاني، مصر، القاهرة بدون تاريخ.

١٥. تمييز الطيب من الخبيث لابن الربيع الشافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦. الحاوي للفتاوي، للامام السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

١٧. الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لاحمد بن عبد الكريم العامري، تحقيق بكر ابو زيد، دار الراية، الرياض، ١٤١٢ هـ.

١٨. حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، طبع دار احياء الكتب العربية، القاهرة، سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

١٩. دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس ورفاقه.

٢٠. الدرر المنتشرة في الاحاديث المشتهرة، للسيوطي، بهامش الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي، مكتبة محمود توفيق القاهرة، الطبعة الاولى، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.